

## اللغة العربية بين السليقة والنحو والإعراب

Arabic language between seleka, grammar and expression

جمال سنوسي\*

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر) d.senouci@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/31 تاريخ القبول: 2022/02/28 تاريخ النشر:

2022/03/30

**ملخص:** يخلط كثير من الدارسين بين النحو والإعراب، ولا يكاد يُميز بينهما، فيركزون جلّ جهدهم في تعلم الإعراب ومواقع الكلام، ومنهم من يتخطاهما إلى البحث عن السليقة اللغوية بتتبع عرف القاعدة النحوية، مما جعل اللغة العربية محصورة بين السليقة والنحو والإعراب وهذا ما تتناوله هذه الدراسة بالبحث عن مدلولاتهم وعلاقتهم التلازمية التي لا غنى عنها لدارس العربية.

**كلمات مفتاحية:** اللغة؛ السليقة؛ النحو؛ الإعراب.

**Abstract:** Many scholars confuse grammar with expression, and hardly distinguish between them, focusing most of their efforts in learning expressions and speech sites, and some of them go beyond them to search for linguistic seleka by tracking the custom of the grammatical rule, which made the Arabic language confined between seleka, grammar and expression, and this is what this study deals with by searching for their meanings and their indispensable tying relationship to the Arab scholars.

**Keywords:** Language; seleka; grammar; expression.

**مقدمة:** اللغة العربية لغة العرب الأوائل ولسان حالها، ازدهرت ونمت في بيئة عربية خالصة لم تخالطها العجمة إلا مع ظهور التمازج الديني والاجتماعي والثقافي في شبه

الجزيرة العربية مع غيرها من الأمم المجاورة، مما جعل اللسان العربي تلوكة العجمة مع دخول العنصر غير الأعجمي إلى الحاضرة العربية، ففسد هذا الأخير واعتوره من الدّخيل شيء كثير، فانحرف عن سليقته المعهودة بين الأعراب مما جعل علماء هذه اللّغة يتداركون هذا الخلل فحاولوا إيجاد سليقة أخرى بعيدة عن سليقة الفطرة والطبع، فأخضعوا اللسان العربي إلى سليقة القاعدة فأوجدوا علم النّحو واتخذوه ميزانا للّغة العربية، فقاسوا بذلك اللّغة بمقياس القاعدة النّحوية وفقه الإعراب، وهذا ما بحثناه انطلاقاً من تلازمية السليقة والنحو والإعراب في اللّغة العربية.

### 1- تعريف اللّغة عند القدماء والمحدثين :

جاء في تعريف اللّغة تفريعات وتعريفات شتى ووجد اللّغويون صعوبة في إيجاد تعريف علمي شامل ودقيق لها فلم يتفقوا على تعريف واحد، و إنّما تشعّبوا في حصرها في تعريفات متعدّدة نذكر منها تعريف ابن جنّي الذي شاع عند المتأخرين. يقول: " أمّا حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"<sup>1</sup>. وأما ابن خلدون فيعرّفها بقوله: " اعلم أن اللّغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلّم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لساني فلا بد أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم "<sup>2</sup>. وأما من اللّغويين المحدثين فيعرّفها إبراهيم أنيس: " اللّغة نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها النّاس في الاتصال ببعضهم بعضاً "<sup>3</sup>. و يعرفها عبد الصبور شاهين اللّغة: "نظام من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة الاصطلاحية "<sup>4</sup>

و يعرفها أنيس فريحة: " اللّغة مجموعة أصوات للتعبير عن الفكر "<sup>5</sup>. ولعلّ تعريفات القدماء والمحدثين لا تخرج عن كون اللّغة أصواتاً تستعمل للتواصل والإبلاغ عن الأحاسيس والشّعور والتّجارب الإنسانية، ولعلّ تعريف ابن جنّي لها أنّها أصوات أخرج بذلك الجانب غير الصوتي، وأما قوله: " يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم " فيتفق قوله هذا مع ما وصل إليه علم اللّغة الحديث من تعريفات للّغة وحصرها في الوظيفة الإبلاغية والتعبيرية والتواصلية.

وإذا تقصينا تعريفات القدماء والمحدثين على تنوع مشاربهم ورؤاهم وأفكارهم فإنّهم يتفقون في أشياء كثيرة يمكن أن نجلها فيما يلي:

- أ- اللّغة في أبجديات تعريفاتهم أصوات: وبذلك أخرجوا المحفوظ والمكتوب منها، وإن بقيت بينهم مسألة خلافية لأن هناك من يعتبر المكتوب لغة أيضاً.
- ب- اللّغة نظام: لكلّ لغة نظام معين تقوم عليه، فهي تتراصّف و تنتظم وفق قواعد معينة، فالأصوات التي تُكوّن اللّغة تتناسق فيما بينها في كلمات و جمل وفق نظام

معين، ويرتبط توزيع الأصوات داخل الكلمة الواحدة بانسجام هذه الأصوات و تألفها "واعلم أن هذه الحروف كلما تباعدت في التأليف كانت أحسن، وإذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما"<sup>6</sup>

وعليه فإنه لكل لغة "نظام معين لا تحيد عنه في إحلال صوت ما وعدم إحلال صوت آخر في المواقع المختلفة من الكلمة"<sup>7</sup>.

**ج- اللغة منتوج اجتماعي :** اللغة لا تنشأ إلا في وسط اجتماعي تنمو بنموه، و تضمحل باضمحلاله ولا يمكن للفرد أن يكتسب لغة خاصة به، وإنما للتنشئة الاجتماعية والبيئة دور كبير في اكتساب المهارات اللغوية عامة، فهي منتوج اجتماعي تتشارك فيه الجماعة اللغوية الواحدة فيحصل لها بذلك التمايز عن غيرها، لذلك خصّها ابن جنّي بقوله يعبر بها كل قوم إشارة إلى الجانب الاجتماعي فيها .

**د- اللغة جملة من الوظائف :** ولعلّ أبرز وظيفة لها من منظور التعريفات المختلفة أنّها وسيلة للتعبير عن التجارب، فهي وسيلة للتفاهم بين أفراد الجماعات البشرية التي تتشارك فيها قصد الإبلاغ و الإفهام وأشار ابن خلدون إلى هذا في قوله: هي عبارة المتكلم عن مقصوده وابن جنّي في قوله: أغراضهم.

**2- العربية :**

العربية لغة العرب، وهي اللغة التي كانت تنطق بها قبائل شبه الجزيرة العربية على اختلاف لهجاتها، "ومنذ نهضت قريش في أرض الحجاز وبدأت تسود غيرها من القبائل وتترعّمها في الدين و السياسة و الاقتصاد أخذت لهجتها كذلك تسود اللهجات الأخرى وتتغلب عليها، واستمرت هذه اللهجة في طريقها من الرقي بواسطة عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية"<sup>8</sup> .

وإذا كان العرب قد انقسموا على مرّ العصور إلى قبائل شتى ولهجات مختلفة، فإنّه أمكن لهذه اللهجات أن تحتك ببعضها بفضل التجارة، والمجاورة، والمصاهرة، والاجتماع في مواسم الحج وغير ذلك من وسائل التواصل، فطغت لغة قريش على غيرها فاستأثرت في الجانب الأدبي منظومه ومنتوره، " فكانت وفود العرب من حجاجها و غيرهم يفيدون إلى مكة للحج، ويتحاضرون إلى قريش في أمورهم...، وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغتها و رقة ألسنتها إذا أنتهم الوفود من العرب يتخيرون من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلاقتهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب"<sup>9</sup>.

ويشير ابن جنّي إلى فصاحة قريش فيقول: "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عننة تميم، وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، و تضجع قيس، و عجرفة ضبة، و تلتلة بهراء"<sup>10</sup>.

فلما اجتمع لهم هذا الأمر "ارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستقبحتها وسمت طبائعهم وقويت سلائقهم، حتى صاروا في آخر أمرهم أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ" <sup>11</sup>.

وتشاء حكمة الله عز وجل أن يكلف رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الوحي فينزل في قريش ووسط ظهرانهم بلغتهم التي يفهمونها، فنزل القرآن بها مشكلاً نصاً بلاغياً أبهر القارئ والمستمعين على السواء، فتوجهت أنظار أدباء العرب قاطبة إليها مشدودين إلى جمالها وسحرها وبيانها فاغترفوا من معينها حتى عمّت هذه اللغة القاصي والداني وجرت على كل لسان بين القبائل وأصبحت اللغة الرسمية للعرب جمعاء .

ولعل مصطلح العربية أطلق فيما أطلق على معنى الإعراب والنحو فقد قصد به النحو كما جاء في الرواية المنقولة عن عاصم بن أبي النجود حين قال: " أول من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي " <sup>12</sup> واختلف المحدثون في كلمة العربية فمنهم من أولها أنها نقاط المصحف التي وضعها أبو الأسود، ومنهم من أرجعها إلى حركات الإعراب الثلاثة من رفع ونصب وجر.

فكلمة العربية يراد بها الإعراب الذي يستدل عليه بالحركات الثلاث في آخر الكلمات العربية، ويكون معنى قول عمر رضي الله عنه: "تعلموا العربية". تعلموا الإعراب الذي يقتضي معرفة مواقع الكلمات في الجمل لتحديد نوع الحركة التي تنطق في آخر الكلمة وسبب التأكيد على الإعراب هو أن الاختلال واللحن ظهر أولاً في حركات الإعراب في أواخر الكلمات <sup>13</sup>.

### 3-السليقة واللحن في العربية :

#### 1-السليقة:

لقد جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: "إذا ذهب الخوف سلقوكم بالسنة حداد" <sup>14</sup>؛ أي خاصموكم و بالغوا فيكم بالكلام أشد الخصام. ونقول: "الكرم سليقته والسّخاء خليفته، وهو يتكلم بالسليقة، وكلام سليقي، ورجل سليقي" <sup>15</sup>. والسليقة: الطّبيعة والفطرة والسّجية التي فطر عليها الإنسان في لغته، ولعلّها اختصّت بالأعراب الضّاربين في تخوم الصحراء الذين لم يخالطوا غيرهم من الأجناس وبقيت ألسنتهم صافية، فحفظوا بذلك اللسان العربيّ فجُمعت عنهم اللغة حتى أنّ الرواة لم يتشككوا في الأخذ عن أطفالهم و صبيانهم .

فالسليقة بهذا المفهوم تمثل عند الرواة والنحاة واللغويين مرحلة من مراحل صفاء اللغة و نقائها وإتقان وإحكام أمرها حسب ما هو متعارف عليه، و ما يروى عن حكايات الأعراب في هذا المجال شيء كثير. قال الأصمعي: " رأيت أعرابيا ومعه بني صغير ممسك بقم قربة، و قد خاف أن تغلبه القربة فصاح يا أبت: أدرك فاهها، غلبني فوها، لا طاقة لي بفيها"<sup>16</sup>.

وسئل أحد من تميم يوما كيف تقول: ضربت أخوك، فقال: أقول ضربت أخاك فأدير على الرّفع فأبى، وقال: لا أقول أخوك أبدا . فقيل له: " كيف تقول ضربني أخوك؟ فرفع، فقيل له: ألسنت تزعم أنك لا تقول أخوك أبدا فقال: أيش هذا؟ اختلفت جهتا الكلام"<sup>17</sup>.

فالتّبع والسليقة في لغة الأعراب أبعدهم عن تلمس القاعدة في كلامهم فيصدرون عن سجية وفطرة سليمة في أنفسهم وألسنتهم دون اللّجوء إلى نحو القاعدة أو البحث عن مواطن الكلام، و إنّما كانوا يتلمّسون الرّفع و النّصب والجرّ بما هو أوفق وأقرب لأذنانهم، و أسهله على ألسنتهم، و لذلك لم يخضعوا إلى ضوابط تُقوّم سلوكياتهم اللّسانية من قواعد أو نظريات أو قوانين، فلم يحتكموا إلّا لقانون السّجية والجبلة التي جبلوا ونشأوا عليها، فالسلوك اللّغوي عندهم قائم بذاته بعيد عن العوامل والمعمولات.

ولعلنا نجد هذا عند الشعراء القدامى في نظمهم للشعر، فلم يكونوا على دراية بعلم العروض كما هو متعارف عليه اليوم، و إنّما احتكموا في أبياتهم وقصائدهم إلى الفطرة السليمة، ولم يعرفوا شيئا اسمه المبتدأ والخبر، أو اسم كان و إنّ، أو مواضع كسر إنّ أو فتحها، وغيرها من ضروب النّحو المختلفة؛ بل طبعهم وحسهم اللّغوي جعلهم ينطقون وينظمون الكلام في موضعه بأحاسيسهم التي يتلذذون بها مواقع الكلام وضروبه.

وانطلاقا من هذا كلّ عمل الرواة على التّقيب عن أجود اللّغات صفاء، و أقربها إلى الطّبع والسليقة والسّجية عند أفصح القبائل كلاما وأبلغها عند النّطق، فوقع اختيارهم على قريش باعتبارها أجود القبائل وأصفاها لسانا، و لم يأخذ اللّغويون والرواة عنها فحسب بل صنّفوا القبائل درجات، " والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي، وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس و تميم وأسد فإن هؤلاء الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليه أتكلم في الغريب و في الإعراب والتّصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"<sup>18</sup>.

وهنا برز مصطلح الاحتجاج في جمع اللّغة وتصنيفها وتبويبها، ويراد به إثبات صحة كلام منقول بسند صحيح إلى أحد الأعراب أو العرب المشهود لهم بالسليقة

والسلامة اللغوية، فاتفق الرواة واللغويون على الاحتجاج بمن هو أفصح وأوثق به وبسلامة لسانه فأخذوا عن أهل المدر والوبر، فصنّفوا بذلك الشعراء من جاهليين، ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين، وإن اختلف بعضهم في صحة من يحتج بشعره في اللغة والنحو والصرف وخصوصا الطبقتين الأخيرتين، فجعلوا من القرآن، ثم الحديث ثم كلام العرب أصنافا ومراتب في تقصي السلامة اللغوية.

ولعلّ حرص علماء اللغة العربية على جمعها وتدوينها من أفواه العرب مشافهة وحكاية جعلهم يضعون ضوابط صارمة لتقصي الملكة اللسانية السليمة، والأخذ بالفصح فالأفصح، وما نبههم على ذلك هو أنهم رأوا الكلام قد داخل بعضه بعضا واختلطت العرب بغيرها من الأمم المجاورة، فأصيبت في لسانها وخلطته العجمة فمرضت بذلك الألسنة، وأصيبت الفصاحة والبلاغة، واعتلّ الكلام في موطنه وظهرت بوادر اللحن عند العامة والخاصة.

## 2- اللحن :

كان من بين أسباب فساد اللسان العربيّ اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم المستعربين، الذين قصدوا مكة خصوصا لانتهاال علوم الدين وتعلّم العربية من منابعها، إضافة إلى دخول الأعاجم الإسلام من الأمم المجاورة، وبعض الموالى الذين تعرّبوا " فاضطربت السلائق بعد أن كثر الدّخيل وعلقته الألسنة لدورانه في المعاملات"<sup>19</sup> فتفشى اللحن، واضطرب الكلام، وانحرف عن أصوله المتعارف عليها بديهية من أفواه العرب الأقحاح، و بدأت بوادر الخطأ في اللغة و الإعراب و المعنى و غيرها، كل هذا أدى إلى فتور السليقة و ضعف البديهة و رواج اللحن الذي يعدّ الباعث الأساس لتدوين اللغة .

وقد قال الجاحظ " إن أول لحن سمع بالبادية هذه عصاتي، والصّواب عصاي، وأول لحن سمع بالعراق حيّ على الفلاح، و صوابه حيّ بالفتح "<sup>20</sup>.

وأخذ اللحن يفسو شيئا فشيئا بين النّاس، وقد كان معروفا زمن الرّسول صلى الله عليه و سلم، و من ذلك قوله: " أنا من قريش ونشأت في بني سعد، فأنى لي اللّحن "<sup>21</sup> و قد ذكر أبو الفتح ابن جني " أن رجلا لحن بحضرة الرّسول صلى الله عليه و سلم فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضل "<sup>22</sup>.

تسرب اللّحن إلى القرآن الكريم، ومن ذلك ما روي أنّ أعرابيا قدم زمن عمر بن الخطاب فقال: من يقرئني شيئا مما أنزل على محمد؟ فأقرأه رجل سورة براءة بهذا اللّحن "و أذان من الله و رسوله إلى النّاس يوم الحجّ الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله".

فقال الأعرابي: إن يكن الله بريء من رسوله، فأنا أبرء منه، فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة... وقص القصة فقال عمر: ليس هذا يا أعرابي فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال... أن الله بريء من المشركين ورسولهُ... فقال الأعرابي: وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسوله منهم، فأمر عمر ألا يُقرئ القرآن إلا عالم باللغة<sup>23</sup>. وكان الخليفة أبو بكر رضي الله عنه يقول: "لأن أقرأ فأسقط، أحب إلي من أن أقرأ فألحن".

وسمع أعرابي إماما يقرأ "ولا تَنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا" بفتح تاء تنكحوا. فقال سبحان الله. هذا قبل الإسلام قبيح فكيف بعده. فقيل له إنه لحن. والقراءة "ولا تُنكحوا" فقال: قبحه الله لا تجعلوه بعدها إماما فإنه يحل ما حرّم الله<sup>24</sup>.

وذكر الجاحظ أنه دخل على زياد رجل وأخوه، وقد اختصما في الميراث فقال أحدهما: "إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا، فأكله". "فأما زياد فقال: الذي أضعت من لسانك أضرت عليك ممّا أضعت من مالك"<sup>25</sup>.

وقال يوسف بن خالد السّمتي لعمر بن عبيد: "ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائها؟ قال له عمرو: أحسن. قال: من قفاؤها. قال: أحسن. قال: من قفاءها. قال له عمرو: ما عنّاك بهذا؟ قل: من قفاها واسترح"<sup>26</sup>. وقال عبد المالك بن مروان: اللّحن هجنة على الشّريف، والعجب آفة الرّأي"<sup>27</sup> وكان يقال: اللّحن في المنطق أقبح من آثار الجدري في الوجه"<sup>28</sup>.

ولم يشذ عن قاعدة اللّحن حتّى جهابذة الفصاحة والبلاغة، وأعرف النّاس بمواقع الكلام ونفثه ورففه ونظمه، ومن ذلك ما رواه ربيعة بن العجاج وأبو عمر بن العلاء "أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج.

وغلط الحسن في حرفين من القرآن مثل قوله: ص والقرآن، والحرف الآخر وما تنزلت به الشياطين"<sup>29</sup>. فضمّ النّون بدل كسرهما، وضمّ الطّاء بدل كسرهما. وروى أبو الحسن أنّ الحجاج كان يقرأ: إنّما من المجرمون لمنّتمون"<sup>30</sup>. وشاع اللّحن بعد ذلك في عهد الدّولة الأموية وأصبحت النّاس تتعابر به، "لأنّ العرب يومئذ كانوا لا يزالون على حميتهم الأولى، وكانت جماهيرهم تحضر مجالس الخلفاء والأمراء، وتنادى كل طائفة منهم باسم قبيلتها... فكان عبد الملك يتسقط من يلحن"<sup>31</sup>.

قال العتبي: "استأذن رجل من عليّة أهل الشّام عليه، و بين يديه قوم يلعبون بالشّطرنج، فقال: يا غلام غطها، فلما دخل الرّجل تكلم لحنًا، فقال عبد الملك: يا غلام اكشف عنها الغطاء؛ ليس للاحن حرمة"<sup>32</sup>. ومما قيل لعبد المالك بن مروان "أسرع إليك الشّيب فقال: شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللّحن".<sup>33</sup> وكان يرى اللّحن في الكلام أقبح من التّفثيق في الثّوب النّفيس"<sup>34</sup>.



أمّا في عصر العباسيين فقد فشلت العُجْمة وفشا اللَّحْن في الحاضرة العربيّة، فاختلط الفصح بالعامي وغلب على السليقة والطبع، "وأصبحت السلامة من اللَّحْن لا تنهياً إلا بالتصوّن والتّحفظ، وتأمّل مواقع الكلام، ولذا صاروا يشبهون اللسان الفصح بأنه لسان أعرابي قح"<sup>35</sup>.

ولهذا عمل الولاة والأمراء على تعليم أولادهم سبل الكلام، واتخذوا لهم من المؤدبين واللّغويين أشهرهم، حتّى يهيئوهم لأعباء الخلافة وأفانين الخطابة. وكلّما أوغل النَّاس في مظاهر الحضارة والثّرف ساد العامي على حساب الفصح واعتلت الألسن بالدّخيل والمختلط والمولد، وانحرف الكلام عن مواضعه، ففسدت سلائق الأعراب حتّى أن الخاص منهم إذا نطق بالإعراب و جرى فيه على قوانينه استنقلوه .

ومع ضعف العصبية للعرب، وانفتاح الدّولة العباسية على الفرس والتّرك والفراعنة وغيرهم من طبقات الأعاجم، شاع المستهجن والمستقبح من القول، ففتّقت العربية وأحدث ذلك شرخاً في اللسان العربيّ، فاستكثر العامة من لحن القول، "فقد علّقوا ألفاظاً من الفارسية والرومية والقطبية والنبطية، فسدت بها لغتهم فساداً كبيراً؛ لأنّهم خلطوها بها خلطاً، ولم يجانسوا بين الأصيل والدخيل"<sup>36</sup>.

وليس هذا إلا نزر قليل ممّا ورد في كتب المتقدّمين عن اللَّحْن وشيوعه، وفساد الطّبع، وحرص الخاصة على العربيّة وصيانتها من أشكال اللّحانين و أشباههم، فكانت الفصاحة عندهم رفعة ومكانة بينما اللَّحْن عندهم دناءة ووضاعة، وقد وصل الأمر عندهم في أيامه الأولى أن أخذتهم الحمية والأنفة على العربيّة إلى درجة مواجهته بالضرب "إذ يروى أنّ كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمر: من أبو موسى، فكتب إليه عمر: سلام عليكم أما بعد: فاضرب كاتبك سوطاً واحداً و آخر عطاءه سنة 37"

ولا أدلّ على ذلك إلا أنّ الأوائل عنيوا باللّغة العربية أيّما عناية وخصوصاً من رعايتهم خوفاً عليها من جهة، وخدمة للكتاب المنزل عليهم من جهة أخرى، فالتقى بذلك ما هو ديني بما هو لغوي، ليولد من رحمهما علم غزير المذهب جمّ الفوائد على غيره من علوم العربيّة و هو علم النّحو.

#### 4- علم النّحو :

المتعارف عليه أن علم النّحو ظهر في وقت متأخر عن ظهور اللّغة، بعد أن وصلت لمرحلة الكمال والنّضج في أساليبها وتراكيبها، فقد اتفقوا على النموذج الموحد الذي ينبغي الاحتذاء به، والسّير على منهجه في الإفصاح والإبلاغ، وظهور بوادر الانزياح عن ذلك النّمودج المتكامل دفع باللّغويين إلى استنباط القوانين اللّغوية التي



ينبغي الامتثال لها في الكلام، لئلا يخفضوا المرفوع ويرفعوا المنصوب، ويثنون ويجمعون على غير قاعدة وعلى غير منطق. يقول أبو الطيب الحلبي: "واعلم أنّ أول ما اختلف من كلام العرب فأحوج إلى التّعلم الإعراب؛ لأنّ اللّحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم"<sup>38</sup>. وهذا إن دلّ فإنّما يدلّ على أنّ أول بوادر السّقوط اللّساني إنّما بدأ في تحديد العلامات الإعرابية في أواخر الكلام من رفع ونصب وجر وسكون، فأحوج الأمر إلى التّعلم في ضبط أواخر الكلمة، لئلا يخرج الكلام عن مواضعه في أداء الدلالة والمعنى

ولم تزل العرب "تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها، وماضي جاهليتها، حتّى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل النّاس فيه أفواجا، وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة واللّغات المختلفة، فشاع الفساد في اللّغة العربيّة، واستبان منه في الإعراب الذي هو حلّيها، والموضع لمعانيها فتفتن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام النّاطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فُشو ذلك وغلبته، حتّى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم إلى أن سببوا الأسباب في تقييدها لمن ضاقت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه"<sup>39</sup>.

يظهر من خلال مقولة الزبيدي أنّ الباعث الأول على وضع القواعد وأسس للّغة إنّما كان الخوف عليها من الانحلال في غيرها نتيجة الاختلاط الذي عرفته العرب بعد ظهور الإسلام والغيرة عليها، فسببوا الأسباب في التّقييد لها حرصا منهم على تنقية اللّسان العربيّ وخدمة النّص القرآني، وحفظ اللّغة من التّحريف والتّزييف والتّشويه، فانبرى لهذا المتحمسون والمتدوقون لها ولضروب فنونها، فعملوا على تدوينها والتّأصيل لها ولمناهجها واعتمدوا في ذلك من المنهجية ما يقارب النهج العلمي الدقيق، فأصلّوا لعلم جديد هو علم النّحو.

#### 4- 1- تعريف النّحو:

جاء في لسان العرب: "والنّحو إعراب الكلام العربيّ، والنّحو القصد والطريق، يقال: نحوت نحوك، أي قصدت قصدك، وجاء في التّهذيب: وبلغنا أنّ أبا الأسود الدؤلي وضع وجوه العربيّة، وقال للنّاس انحو نحوه فسمي نحوًا، قال ابن السكيت: نحا نحوه إذا قصده ونحا الشيء ينحاه وينحوه إذا حرّفه ومنه سمي النّحوي؛ لأنّه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب"<sup>40</sup>.

ومما لا شك فيه أنّ علم النّحو عُني به عناية بالغة الأهمية حتّى عدّ ميزان العربيّة وقانونها الذي لا ينبغي الانحراف عنه، فاعتبر بذلك لبّ الدّراسة اللّغوية ومنهجها الأساس، وتختلف الروايات في واضعه ونسبه إلى أبي الأسود الدؤلي، وإن

كان جلّ الباحثين لا ينكرون دور هذا الأخير وفضله في إقامة دعائم النحو والتأصيل له على نحو ممنهج في عهد علي بن أبي طالب، يقول أحمد أمين: "ويظهر لي أن نسبة النحو إلى أبي الأسود لها أساس صحيح، وذلك أن الرواة يكادون يتفقون على أن أبا الأسود قام بعمل من هذا النمط وهو أنه ابتكر شكل المصحف"<sup>41</sup>.

ويؤكد هذا الرأي سعيد الأفغاني في قوله: "إن من يقرأ ترجمة أبي الأسود وما ورد في أكثر المصادر القديمة من أنه أول من وضع العربية ونقط المصحف، وأن له تلامذة أخذوا عنه العربية، وقراءة القرآن في البصرة، كل أولئك مع ما عرف عن أبي الأسود من ذكاء وقاد وفكر متحرك وعقل وروية، يجعلنا نقطع بأنه وضع أساساً بُني عليه بعده"<sup>42</sup>.

وإنّ علّق بعض الباحثين على نسبة النحو إلى أبي الأسود، وفي مقدمتهم في العصر الحديث شوقي ضيف حيث يقول: "وكّل ذلك من عبث الرواة الوضّاعين المتزידين، وهو عبث جاء من أنّ أبا الأسود نسب إليه حقاً أنّه وضع العربية، فظن بعض الرواة أنّه وضع النحو، وهو إنّما وضع أول نقط يحرّر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم"<sup>43</sup>.

ولا نريد أن نلج هذه المسألة لما فيها من الاختلافات التي لا تؤدي إلى نتيجة؛ لأنّ فيها حلقة مفقودة في التراث العربيّ لابد من استقصائها والبحث عنها لإثبات صحة نظرية ونفي أخرى، ولذلك فإنّنا ننبت ما أثبتته الرواة والباحثون في هذه المسألة من أنّ أبا الأسود يعدّ المنظر الأول للنحو العربيّ، وواضع حجر أساسه، ولا يعني هذا أنّه وضع كل قواعد النحو بالتنظير والتقييد، وإنّما يقصد أنّه فكر في وضع قواعد عامة يمكن أن تحفظ على اللغة سلامتها.

ويمكننا أن نميز في تعريف النحو عند علماء العربية بين جانبين:

#### أ- جانب ركّز على الإعراب:

ويهتم بالبحث عن العلامات التي تلحق أواخر الكلم من رفع ونصب وجر، واقتصر على ما يعرض للكلمة العربية من إعراب وبناء دون الالتفات إلى المعاني التي يبتغيها المتكلّم ولعلّ هذا مردّه إلى اهتمامهم بنظرية العامل؛ لأنّ "أكثر ما كانوا يهتمون به هو التّغيير الذي لاحظوه في أواخر الكلم في ثنایا الجملة، وكان هذا التّغيير يلفت انتباههم فأقبلوا عليه تعليلاً وتفسيراً في هدي الفكرة التي رأوها أساساً يبنى عليها الدّرس النّحوي؛ أعني فكرة العمل والعامل"<sup>44</sup>.

يقول ابن منظور (ت711هـ): "والإعراب الذي هو النّحو، إنّما هو الإبانة عن الألفاظ بالمعاني"<sup>45</sup>. ومن ثمّة عرفوه أنّه: "العلم الذي يُبحث فيه عن أحوال أواخر الكلم

إعراباً وبناءً<sup>46</sup>. ويقول أحمد سليمان ياقوت: "الحقيقة أنّ الإعراب عنصر من عناصر النحو فالنحو كلّ، والإعراب بعض هذا الكلّ"<sup>47</sup>

#### ب- جانب ركّز على البنية:

وغني بالبحث في الجملة وتركيبها ودلالاتها، من تقديم وتأخير وحذف وإضمار، وكل ما يتعلّق بالتأليف، وتجاوز البحث في أواخر الكلم إلى أوائلها وأواسطها، ولعلّ تعريف ابن جني أوضح تعريف حين عرّف النحو: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالثنائية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شدّ بعضهم عنها رُدّ به إليها"<sup>48</sup>.

إنّ مفهوم النحو عند ابن جني يضمّ الإعراب والتّصريف، "فقد جمع في هذا النصّ بين لونين من الدّراسات: صرفية وتتضح في الثّنية والجمع والتحقيق (التصغير)... ونحوية وتتضح في الإضافة والإعراب والتركيب، وهذان النوعان من الدّراسة وهما الصرف والتركيب يُكوّنان في الدّراسات اللّغوية الحديثة ما يسمى بعلم النحو"<sup>49</sup>.

ويؤكد السكاكي ما ذهب إليه ابن جني في قوله: "اعلم أنّ علم النحو هو أن تتحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم، لتأدية أصل المعنى مطلقاً بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها، ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك وبالكلم نوعيها المفردة وما هي في حكمها"<sup>50</sup>.

فالسكاكي في تعريفه عرض مفهوم النحو الشامل الذي يعرف به كيفية انتلاف الكلم فيما بينه انطلاقاً من استقراء كلام العرب في التركيب والتأليف والأساليب والمعاني.

ويعرّفه إبراهيم مصطفى: "فالنحو قانون تأليف الكلام، وبيان لكلّ ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة والجملة من الجمل، حتّى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها"<sup>51</sup>، وبتعريفه هذا وسّع من إطار النحو، وأخرجه من دائرة البحث عن الحركات الإعرابية في أواخر الكلمة، إلى مستوى التأليف والنّظم والاتساق.

#### 4-2- ظاهرة الإعراب:

إذا تأملنا في عصرنا هذا مفهوم النحو ومفهوم الإعراب فلا يكاد يُفرّق بينهما حتّى المتخصصين فما بالك المتعلّمين من العامة، فيخلطون بين الإعراب وتسمية النحو، فيجعلون من النحو إعراباً ومن الإعراب نحواً، طانين ظنّ الخطأ أنّه لا فرق بين التّسميتين، وإنّما هما علم واحد، ولم يسلم من هذه الإشكالية حتّى بعض العلماء في

العربية، فتجدهم يُعرفون الإعراب إنما هو النحو، ومن ذلك ما يضرب عندهم كشواهد شعرية في قول الشاعر:

ماذا لقينا من المستعربين ومن قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا.  
وإذا تأملنا نشأة النحو العربي، وما أوردناه سابقاً من الروايات حول ظاهرة اللحن "سنجد أنّ اللحن في الإعراب هو الذي حدا بأبي الأسود الدؤلي أن يضع علم النحو"<sup>52</sup>

فكل تلك اللحن تختص بشيء واحد هو الإعراب وضبط آخر الكلمة، وتتأكد صحة هذا الطرح عندما نعرف أن أبا الأسود قد بدأ إعراب القرآن، فوضع النقطة فوق الحرف عند فتح الشفتين، وأخرى إلى جانبه عند ضمهما، وأخرى في أسفله عند كسرهما، وأخرى نقطتين عند إظهار الغنة، وحكايته مع كاتبه معروفة في إعرابه للقرآن، والظاهر أنّ الإعراب ليس سوى عنصراً فرعياً من عناصر النحو. "والإعراب بمعنى الإفصاح أو الإيضاح ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم الثيب تعرب عن نفسها أي؛ تُفصح وإنما سمي الإعراب إعراباً لتبيينه وإيضاحه"<sup>53</sup>

وقد اختلف علماء العربية في تعليل ظاهرة الإعراب "فمنهم من رأى أن حركات الإعراب دوال على المعاني اللغوية، بها يتميز الفاعل عن المفعول، والمضاف من المنعوت... وهو مذهب جمهور النحويين واللغويين"<sup>54</sup>.

يقول ابن قتيبة (ت 276هـ) وهو يتحدث عن ميزات اللغة العربية: "ولها الإعراب الذي جعله الله وشياً لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا الإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي بالتثوين، وقال آخر: هذا قاتلٌ أخي بالإضافة، لدلّ بالتثوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التثوين على أنه قد قتله... أفما ترى الإعراب كيف فرّق بين هذين المعنيين"<sup>55</sup>.

ويعرفه ابن فارس أيضاً: "من العلوم الجليلة التي خُصّت بها العرب الإعراب. الذي هو الفارق بين المعاني المكافئة في اللفظ، فيه تُميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أنّ قائلاً لو قال: ما أحسن زيد غير معرب، أو ضرب عمرو زيد غير معرب، لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسن زيداً، أو ما أحسن زيداً، أو ما أحسن زيداً، أبان الإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني"<sup>56</sup>.

ونلمس من تعريف ابن فارس أنّ الإعراب تُميز به المعاني من أغراض المتكلمين في إيراد معنى دون غيره، فيه تُعرف المقاصد والحاجات البلاغية في ضوء الإبانة عن المعاني، وقد جعله ابن قتيبة ثوب العربية والحلية التي تنتظم وفقه في

التفريق بين الكلمات المتشابهة والمعاني المختلفة، فالإعراب جزء من نظام العربية؛ "لأن اللغة العربية على لسان أهلها قد كانت لغة إعرابية بالملكة، وأنها لغة تشكل المعنى باللفظ وبالنظم وبالمفاصل المتغيرة طبقاً للأداء الوظيفي، وأن ذلك قد كان قائماً عند الناس بالمهارة المكتسبة عن طريق الأمومة، مما يصطلح عليه بالسليقة"<sup>57</sup>.

فالحركات الإعرابية إذن "جزء من نظام اللغة العربية، وعنصر جوهري فيها، لم يختلف في ذلك علماءها، ولكنهم على عاداتهم في البحث عن العلل اختلفوا في السبب الذي جعل العرب يلحقون هذه الحركات في أواخر الكلم، ويخالفون بينها بحسب مواقعها في الجمل؛ أو بعبارة أخرى اختلفوا في الوظيفة اللغوية التي تؤديها الحركات الإعرابية، فذهب أكثرهم إلى أن حركات الإعراب دوال على المعاني اللغوية"<sup>58</sup>.

إنَّ جُلَّ النحويين ربطوا بين الإعراب وأداء المعنى أداءً صحيحاً، فالحركات الإعرابية والحروف فارقة للمعاني، "وظاهرة الإعراب من أهم خصائص العربية التي أعطت نطقها جرساً متميزاً، لا يكون الكلام بدونه عربياً مبيناً، وقد لاحظ هذه الظاهرة وأدرك دورها في اللغة علماء العربية الأوائل فعنوا بها وضبطوا قواعدها، وألفوا في ذلك الكتب، مستندين إلى النصوص العربية الأصلية متمثلة في القرآن الكريم، والحديث الشريف وشعر العرب ومنثور كلامها"<sup>59</sup>.

#### 4-3- حركات الإعراب وحروفه:

إنَّ الإعراب ليس ظاهرة مجردة، بل هو ظاهرة تختلط فيها مستويات عديدة، ولعلَّ المستوى الصوتي أولى هذه المستويات، "فإذا قلنا جاء محمدٌ" فإنَّ هذه الضمة المنونة على الدالِّ مجال للدراسة عند كل من: عالم الأصوات وعالم النحو، فالأول يدرسها من حيث مادتها الصوتية؛ أو تحقيقها الصوتي، ووصف أعضاء الجهاز الصوتي عند التلفظ بها وتأثيرها السمعي على الأذن، في حين أنَّ الثاني يأخذ هذه الضمة المنونة ويدرسها من حيث موقعيتها ومن حيث دلالتها على معنى وظيفي وهو الفاعلية، ومن ثمَّ جاز لنا أن نقول: إنَّ حركات الإعراب تمثل العلاقة بين المستويين الصوتي والنحوي في الدرس اللغوي"<sup>60</sup>.

فحركات الإعراب تبرز لنا جانباً جمالياً وأدائياً يرتبط بالإفصاح عند الكلام فتجمع بذلك بين ما هو صوتي وما هو نحوي، واختلاط هذين المستويين له مظاهر أخرى كثيرة تبدو من حركات الإعراب، فتحريك أول الساكنين بالكسر حتَّى لا يلتقي مع الساكن الثاني كما في "لم يكن الذين كفروا" وكذلك حذف حرف العلة في "لم يستطع" مظهران من مظاهر التقاء المستويين الصوتي والنحوي... بل إنَّ الدلالة الصوتية تدلُّ في بعض الأحيان على موقع إعرابي، كما في "لم يرم، ولم يَغْز، ولم يَسْع"، فنقصير حركات المدِّ في تلك الأفعال الثلاثة يدلُّ على موقع الجزم فيها"<sup>61</sup>.

بل أعجب من ذلك أن الظاهرة الإعرابية لها مدلولاتها من ناحية الأداء التنغيمي الصوتي، ومن أمثلته ما أورده في الكتب في باب "كم" في قول الفرزدق يهجو جريراً:

كَمْ عَمَّةٌ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةٌ      فَدَعَاءُ قَدْ حَلَبَتْ عَلَيَّ عِشَارِي .

فموضع كم هنا إما خبرية وإما استفهامية، على اعتبار النصب أو الجرّ في كلمة عمة عند تنغيم البيت وإلقائه، فالفاصل بين كونها للاستفهام أو الإخبار إنما هو الأداء الإنشادي للبيت .

إذن فالخواص الصوتية تلعب دوراً فارقاً في تحديد الوظيفة الإعرابية للكلمة وموضعها في السياق "ففي قولنا مررت بزيد الكريم، أو مررت بزيد الكريم، لا بد أن تكون هناك وقفة أو سكتة بعد النطق بكلمة زيد، ثم ننطق كلمة الكريم بنغمة أخرى من شأنها أن تشير إلى استئناف الكلام أو إلى جملة جديدة ، هذه السكتة أو الوقفة تدلّ على انتهاء الجملة بعد زيد وكأنّ السامع يسألك أثناء هذه السكتة من هو؟ ومن تعني؟ فتجيب الكريم أو الكريم، فهذا التنغيم الصوتي متفق تماماً مع ما يقوله النحاة، من أن "الكريم" خبر لمبتدأ محذوف، أو هو مفعول به لفعل محذوف<sup>62</sup> .

وممن رفضوا دلالة الإعراب على المعاني، وربطوها بالظاهرة الصوتية قطرب (ت206ه) حيث يقول: "وإنما أعربت العرب كلامها لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبيطون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقبا للإسكان ليعتدل الكلام ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة، ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم في اجتماع الساكنين يبيطون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون وتذهب المهلة في كلامهم، فجعلوا الحركة عقب الإسكان"<sup>63</sup> .

وإذا جننا إلى اللغة العربية فإنها لم تكن مشكولة، حتّى انبرى لهذا عالم جليل هو أبو الأسود الدؤلي "وقد اتخذ لذلك كاتباً فطنا حاذقاً من بني عبد القيس وقال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضمنت شفتي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت شفتي فاجعل النقطة من تحت الحرف، فإن أتبعته شيئاً من ذلك غتّه (تتوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين"<sup>64</sup> .

وبذلك يعتبر أبا الأسود " أول من وصف عضواً من أعضاء الجهاز الصوتي؛ أعني الشفتين عند إخراج هذه الحركات، ومن وضع الشفتين عند التلّفظ بهما أخذ أبو الأسود أسماء هذه الحركات، ففي الفتحة تُفتح الشفتين، وفي الضمة تُضمان ثم تكسران

عند الكسرة، ونلاحظ أن مصطلحات البناء (فتح ضم كسر) قد أخذت من قول أبي الأسود هذا، إذ أنه أول من يذكرها عند وصف الشفتين<sup>65</sup>

أما مصطلحات الإعراب: "الرّفْع والجرّ والنّصب والجزم" فهي من اختراع الخليل "وإذا نظرنا إلى الإعراب من ناحية تأديته وظائف نحوية كالفاعلية والإضافة وما إليهما فلا شك أن البناء أسبق من الإعراب، لأنّ الأوّل لا يدل على شيء والثاني يدل على معان ولما كان المجهول يسبق المعروف؛ أي الشّيء يكون في أول أمره مجهولاً، ثم بالتّطور والتّقدم يعرف كان البناء سابقاً على الإعراب، هذا إلى أن الإعراب يمثل المرحلة الأخيرة من التّطور اللّغوي"<sup>66</sup>.

إذن تبيّن ما ورد ذكره أنفاً أنّ الظّاهرة الإعرابيّة ليست ظاهرة وليدة الصّدفة وإنّما هي ظاهرة متجذّرة في اللّغة العربيّة، ربطت بين مستويات عدّة، فهي الواصلة بين المستوى النّحوي والمستوى الصّوتي، كما أن حروف الإعراب "هي ملقّى المستويين الصّرفي والنّحوي ذلك أننا إذا قلنا (جاء المحمدان) كانت الألف في المحمدان دليلاً للرفع وهي أيضاً دليل للتثنية، ومثل ذلك (الواو) في جاء المحمدون فهي دليل على الرّفْع والجمع والتثنية والإفراد من عمل الصّرفيين، والرّفْع والنّصب والجرّ من عمل النّحاة"<sup>67</sup>.

وختاماً يمكننا القول:

- اللغة العربية نشأت نشأة طبيعية وخضعت للاعتباطية اللّغوية بين الدّال والمدلول بعيداً عن النّحو .

- نمت اللّغة العربيّة في بيئة اجتماعية منعزلة لم تعرف الدّخيل إلا مع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة فكانت منتوجاً اجتماعياً للعرب العاربة ميزتها عن غيرها .  
- سادت لهجة قريش باعتبارها لهجة العرب الأنقى من بين جميع اللّهجات كونها ملقّى تجاري وديني وأدبي وجب على جميع العرب أن يطوّعوا لسانهم إلى عريبتها ولهجتها .

- السليقة هي مرحلة صفاء اللّغة العربيّة بعيداً عن نحو القاعدة؛ لذلك أخذت اللّغة العربيّة من العرب الضاربين في تخوم الصحراء لنقاء لغتهم .

- الطبع في لغة الأعراب أبعدهم عن النّحو ؛ لأنه كان فيهم سجيّة يتلمّسون به الرفع والنصب والجرّ أواخر الكلام .

- السلوك اللّغوي عند الأعراب جعل منهم مواطن لجمع اللّغة العربيّة وتبويبها، فنشأت اللغة وصفية أخضعت القاعدة إلى اللّغة .

- بروز مصطلح الاحتجاج في اللغة العربية جعلهم يصنّفون الكلام والقبائل، فكانت قريش أصفى القبائل كلاماً وأجودها عند النّطق.



- من دوافع وجود النحو اللّحن في الكلام، اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم والمستعربين، وهو الدافع إلى إيجاد علم يحفظ اللغة العربية من أن تضمحل في غيرها، فأوجدوا علم النحو وأخضعوا اللغة العربية إلى القاعدة.
- علم النحو ظهر في وقت متأخر عن ظهور اللغة بعد أن وصلت إلى قمة نضجها وكمالها، وظهر بواكر الانحراف عن ذلك النموذج الموحد للغة دفع بعض علماء العربية إلى استنباط القوانين الوضعية لها فأوجدوا علم النحو وركزوا فيه على الجانب الإعرابي والجانب البنائي.
- النحو ليس نفسه الإعراب وإنما الخطأ في الإبانة عن مواطن الكلام أوجد علم النحو، ولذلك الإعراب تتداخل فيه مستويات لغوية كثيرة والمستوى الصوتي أول هذه المستويات.
- الظاهرة الإعرابية هي ظاهرة صوتية تربط بين المستوى الصوتي والمستوى النحوي والمستوى الصرفي.

#### الهوامش:

- 1- ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب القاهرة، 1952، ج1، ص:33.
- 2- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1957، ص:546.
- 3- إبراهيم أنيس، اللغة بين القومية والعالمية، دار المعارف، مصر، 1970، ص:11.
- 4- عبد الصبور شاهين، في علم اللغة، مطبعة المدني، القاهرة، ط2، 1977، ص:27.
- 5- أنيس فريحة، نظريات في اللغة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981، ص:8.
- 6- ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: د. حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط2، 1993، ج1، ص:65.
- 7- سمير شريف إستيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط2، 2008، ص:89.
- 8- حسن عون، اللغة و النحو دراسات تاريخية وتحليلية مقارنة، مطبعة رويال خلف، مصر، ط1، 1952، ص:42.
- 9- ابن فارس، الصحابي في فقه اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1997، ص:28.
- 10- ابن جني، الخصائص، ج2، ص:11.

- 11 - مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، مراجعة وضبط عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري مكتبة الإيمان، القاهرة، ط1، 1997، ج1، ص: 78.
- 12 - غانم قدوري الحمد: أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2005، ص: 42.
- 13 - المرجع نفسه، ص: 45.
- 14 - سورة الأحزاب، الآية : 19.
- 15 - الزمخشري محمود بن عمر، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 1998، ج1، ص: 469.
- 16 - ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1969 ص: 11.
- 17 - محمود حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دار الكتاب العربي، القاهرة، دط، دت ص: 29.
- 18 - جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تح: عبد الحكيم عطية، دار البيروني دمشق، ط2، 2006، ص: 47.
- ينظر: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب ج1، ص: 205. <sup>19</sup>
- 20 - المرجع نفسه، ج1، ص: 206.
- 21 - جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1986، ج2، ص: 397.
- 22 - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج2، ص: 8.
- 23 - ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، مطبعة روضة، الشام، 1332 هـ، ج7، ص: 110.
- 24 - ابن قتيبة، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، دط، دت، مج2، 160.
- 25 - الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، ط7، 1998، ج2، ص: 222.
- 26 - المرجع نفسه، ج2، ص: 212.
- 27 - المرجع نفسه، ج2، ص: 216.
- 28 - المرجع نفسه، ج2، ص: 216.
- 29 - المرجع نفسه، ج2، ص: 219.
- 30 - المرجع نفسه، ج2، ص: 218.

- 31 - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص: 206.
- 32 - المرجع نفسه، ج2، ص: 206.
- 33 - ينظر: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج2، ص: 158.
- 34 - الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص: 216.
- 35 - مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص: 207.
- 36 - المرجع نفسه، ج1، ص: 217.
- 37 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها القاهرة مصر، 1955، ص: 6.
- 38 - أبو الطيب اللغوي: مراتب النحويين، ص: 23.
- 39 - أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة مصر، 1973، ص: 11.
- 40 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، د ط، 1956، مج5، ص: 309، 310. بتصرف
- 41 - أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، 2012، ج2، ص: 608.
- 42 - ينظر: سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دار الفكر، بيروت لبنان، د ط، د ب ت، ص: 27، 29 بتصرف.
- 43 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة مصر، ط7، 1968، ص: 12.
- 44 - مهدي المخزومي، النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 1964، ص: 65.
- 45 - ينظر ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، 1956، مج1، ص: 587.
- 46 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دار الأفق العربية، القاهرة، د ب ط، 2003، ص: 1.
- 47 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983، ص: 20.
- 48 - ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ج1، ص: 34.
- 49 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو، ص: 21.

- 50 - السكاكي، مفتاح العلوم، تح وضبط: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 1987 ص: 75 .
- 51 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص: 1 .
- 52 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص: 16 .
- 53 - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، 1956، مج1، ص: 586 بتصرف .
- 54 - غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005 ص: 123 .
- 55 - ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة 1973، ص: 14 .
- 56 - ينظر: ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية ص: 43..
- 57 - عبد السلام المسدي، العربية والإعراب، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط1، 2010، ص: 76 .
- 58 - غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، ص: 128 .
- 59 - غانم قدوري الحمد، أبحاث في العربية الفصحى، ص: 119 .
- 60 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص: 47 .
- 61 - المرجع نفسه، ص: 47 .
- 62 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ص: 48 .
- 63 - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، 1973، ص: 70 71 .
- 64 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص: 17 .
- 65 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص: 50 .
- 66 - المرجع نفسه، ص: 52 .
- 67 - أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي، ص: 57 .